تاريخ العلوم
المجلة العربية المتخصصة في تاريخ العلوم والدراسات والأبحاث الإيبستمولوجية

بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين (كتابات أحمد توفيق المدني أنموذجا).

The early history of Algeria during the first half of the twentieth (century - (writings of Ahmed Tawfik civil model

محمد بوطيبي
جامعة المدية.
البريد الالكتروني: bt.med@hotmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-10-03 تاريخ القبول : 2019-10-20

الملخص:

عرفت فترة القرن العشرين ظهور بعض الكتابات التاريخية المحتشمة التي تناولت التاريخ الوطنى الجزائري ، تزعم هذه الحركة نخبة من المفكرين والمصلحين الجزائريين، أمثال: محمد مبارك الميلي، عبد الرحمان الجيلالي، أحمد توفيق المدني،وغيرهم ممن ساهموا في كتابة تاريخ البلاد، بهدف احياء التاريخ الوطني التي حاولت السلطات الفرنسية طمسه والقضاء عليه. لذلك حاولت التطرق للكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني خلال هذه الفترة باعتباره واحد من الذين أسسوا نواة المدرسة التاريخية الجزائرية العصرية ، قصد إحياء الوطن الذي كان يتخبط تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية.

الكلمات المفتاحية:

تاريخ الجزائر، أحمد توفيق المدني، الكتابات التاريخية، التاريخ الوطني. المدرسة التاريخية الجزائرية.

Summary:

The period of the twentieth century was characterized by the emergence of some historical writings on the Algerian national history, led by an elite group of Algerian intellectuals and reformers, such as Mohamed Moubarek El-Mili, Abderrahmane El-Djilali, Ahmed Tawfiq El Madani, and others who contributed to the history of the country, Which the French authorities tried to obliterate and eliminate. So I tried to address the historical writing of Ahmed Tawfik civil during this period as one of the founders of the nucleus of the modern Algerian modern school, to revive the homeland, which was floundering under the French colonial hegemony.

key words:

History of Algeria, Ahmed Tawfiq Al Madani, historical writings, national history. Algerian Historical School.

مقدمة:

صدرت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين العديد من الكتابات التاريخية الفرنسية التاريخية التي تمجد البطولات والأمجاد العسكري الفرنسية في الجزائر. بغية توطيد الكيان الاستعماري الفرنسي في الجزائر ، وتبرير مشروعية الاحتلال الفرنسي ، التي قضت على التواجد التركي في الجزائر.

في ظل الاصدارات الفرنسية. ظهرت كتابات تاريخية محتشمة باللسان العربي ، كانت باكورة الكتابة التاريخية الجزائري ، كما يخلو للبعض تسميتها

بالمدرسة التاريخية الجزائرية، تزعمها نخبة من المثقفين الجزائريين المحافظين ، بهدف احياء الأمة الجزائرية ، التي فقدت جسمها السياسي ، عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1930.

لقد تجسدت الكتابات التاريخية الأولى في مؤلفات أحمد توفيق المدني ، والشيخ مبارك الميلي صاحب كتاب **تاريخ الجزائر القديم والحديث** ،والشيخ عبد الرحمن الجيلالي صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام أوائل الخمسينات (1953)، وهو في جزأين. وقد تناول تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى العهد العثماني ومحمد علي دبوز ، ناهيك عن الدوريات والصحف الجزائرية والعربية التي ساهمت في احياء التراث والتاريخ والمقومات الجزائرية.

من خلال الكتابات التي ظهرت في القرن العشرين حاولت التطرق لشخصية أحمد توفيق المدني و إسهاماته التاريخية الجزائرية. كغيره من الأوائل الذين كانوا سباقين لتأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية إن صح هذا المصطلح، لذلك فالإشكالية تتمحور حول **تموقع الكتابة التاريخية لأحمد توفيق المدني من الأبعاد التربوية ، المنهجية والقومية.**

فما هي العوامل التي ساعدت أحمد توفيق المدني للتبكير في الكتابة التاريخية. وما هي أهم مؤلفاته التاريخية؟

ما هي الأهداف من الكتابة التاريخية لتوفيق المدني؟

ما هي المنهجية التاريخ المتبع في كتابة أحمد توفيق المدني؟

وما هو أثر كتاباته لتأسيس ما يطلق عليه المدرسة التاريخية الجزائرية؟.-

1- نبذة تاريخية عن حياة أحمد توفيق المدني:

- ولد أحمد توفيق المدني في الفاتح نوفمبر 1889 م الموافق ل 24 جمادي الثانية 1317 هـ، في العاصمة التونسية ، من أسرة جزائرية مهاجرة من صلب محمد بن أحمد بن محمد المدني القبي، الغرناطي الأصل من السادة الأشراف.

- ولد أبوه عام 1852 م، وتلقى علومه بالجامع الكبير، أما جده فقد شغل منصب أمين الأمناء (شيخ بلدية الجزائر العاصمة)،ونتيجة السياسة الفرنسية المطبقة ضد الأهالي الجزائريين، قررت الأسرة السفر اتجاه تونس، حيث استقرت الأسرة في بجاية، لكن ثورة المقراني التي اندلعت عام 1870م حالت دون ذلك، مما ألزم الأسرة الهجرة نحو البلاد التونسية.

- من باب الصدف أن التقت عائلته بأسرة الشيخ عمر بويراز الجد بالأم لأحمد توفيق المدني، وانتقلت كلا العائلتين إلى تونس[1]. أما أمه فهي عائشة بنت عمر بويراز وكريمة من عائلة ابن هشام التونسية الأصل، حيث تزوجت من أبيه محمد وعمرها ستة عشر سنة، وهو في سن يزيد عن الأربعين سنة.[2]

- تربى الابن أحمد توفيق في جو العائلة المحافظة على الشرف والدين، وفي الخامسة من عمره بدأ حفظ القرآن في الكتاتيب التونسية، أين تميز بقوة الحفظ والفراسة، حتى إذا بلغ السنة التاسعة أصبح الفتى أحمد يقرأ الجرائد، ويتبع أمور وأحداث السياسة التي بدأت تتخمر في ذهنه بفعل تتبع وتطلع العائلة وأخواله على القضايا السياسية السائدة في

البلاد، حيث اضطلع على مجلة العروة الوثقى والمؤيد واللواء. [3]

-وفي سن العاشرة انتقل الطالب من الكتاب إلى المدرسة القرآنية الأهلية وتتلمذ على يد محمد صفر، ووضع في الصف الرابع مبكرا، وفي عام 1915م حكم على الشاب اليافع بالسجن مدة أربع سنوات، بعدها عاد على الجزائر ليناضل في صفوف جمعية العلماء المسلمين، وكان له الفضل في إنشاء نادي الإتحاد والترقي مع العلامة عبد الحميد بن بأديس، كما انضم في صفوف الثورة الجزائرية عام 1956 م، أما بعد الاستقلال فتقلد العديد من المناصب العليا، منها تعينه سفيرا في كل من تركيا وإيران والعراق.[4]

2- الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني:

ترك أحمد توفيق المدني العديد من المؤلفات منها:

- تقويم المنصور جمهورية الجزائر سياسيا اقتصاديا وطبيعيا .

- حياة كفاح مذكرات في تونس 19015-1925م.الجزء الأول.

- حياة كفاح مذكرات في الجزائر، 1925-1954م-الجزء الثاني.

- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م.

- مذكرات أحمد الشريف الزهار 1754-1830م.

- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا.

- محمد عثمان باشا داي الجزائر وخلاصة تاريخ الجزائر العثمانية .

- قرطاجنة في أربعة عصور : تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام.

- جغرافية القطر الجزائري .[5]

خلال الفترة التي كان يقيم بها أحمد توفيق المدني بتونس، أصدر سنة 1922 كتابه الأول الموسوم بعنوان "تقويم المنصور" في 320 صفحة، وكان سجلا سنويا للشمال الإفريقي، تشمل بحوثه التاريخ والأدب والعلوم والاجتماع، واستمر على إصداره خمسة أعوام، في نفس الحجم. وخلال هذه الفترة ، كانت اهتماماته بالقضية التونسية والإسلامية مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي أكثر من اهتمامه بالمسألة الجزائرية، باعتباره كان مناضلا في الحزب الحر الدستوري التونسي. حيث نشر فيما بين سنتي 1922-1924، علاوة على مقالات الصحف ثلاث رسائل هي: الحرية، ثمرة الجهاد، أو كفاح إرلندا من أجل الاستقلال ، معاهدة سيفر ، تونس تجاه جمعية الأمم.

و نتيجة تفاقم نشاطه السياسي في تونس، أصدرت السلطة الفرنسية أمرها بإبعاده إلى الجزائر، يوم 5 يونيو 1925.[6] حيث تقبله الجزائريون على الرحب والسعة، واجتمع منذ الأيام الأولى بالشيوخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي ومبارك الميلي وغيرهم. وتقرر بينهم وجوب العمل السريع من أجل القيام بحركة تظهر الجزائر بوجهها الحقيقي : المسلم العربي القومي، وتقاوم تيار التفرنس الخلقي والسياسي ومحاولات الاندماج مع فرنسا. ونشر يومئذ مقاله الأول ضد التجنيس والاندماج تحت عنوان: "بين الموت و

الحياة" في صحيفة الإصلاح ومجلة الشهاب ، التي كان يحرر قسمي السياسة الخارجة والسياسة الداخلية طيلة 15 عاما، إلى أن أغلقت المجلة سنة 1939. اشترك مع جماعة من فضلاء الجزائر في تأسيس "نادي الترقي" سنة 1926.

لقد قام سنة 1927 بنشر كتابه : "قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ الشمال الإفريقي قبل الإسلام" من أجل الإشادة برسوخ قدم البلاد في مقاومة الاستعمار منذ فجر التاريخ، وتقويض أسطورة التأثير التمدني الروماني التي تغنى بها المستعمرون الفرنسيون، وبيان الأصول الواحدة بين العنصرين الرئيسيين البربري والعربي، الذين حققا مدنية وسعادة البلاد منذ التحما إلى الأبد تحت راية القرآن. وكان ذلك الكتاب عبارة عن مدرسة تاريخية جديدة، حطّمت النظريات الاستعمارية القديمة، وسار حسب منهاجها كل المؤرخين الجزائريين الذين كتبوا بعد ذلك.[7]

كما ألّف سنة 1930، بمناسبة احتفال فرنسا بمرور 100 عام على احتلالها الجزائر، كتابه الكبير "كتاب الجزائر"عام 1932 الذي عَرَضَ لأوَّل مرة تاريخ الجزائر وواقعها حسب وجهة النظر الجزائرية الإسلامية العربية، وشرح حال الشعب الجزائري وسياسة الاستعباد الفرنسي في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع توجيهات صريحة.

وفي سنة 1937، ألَّف كتابه "محمد عثمان باشا، داي الجزائر" وفيه بيَّن الحقائق التاريخية التي حاول الفرنسيون طمسها حين قالوا طيئة مائة عام أن الجزائر كانت مستعمرة تركية في حالة بؤس وشقاء وحروب أهلية إلى أن جاء الفرنسيون فحرَّروها ومدَّنوها. فبين الكتاب حقيقة النجدة العثمانية للجزائر ضد العدوان الصليبي، ونشأة الدولة الجزائرية، واستقلالها، وبطولتها، كما بيَّن فظائع وأهوال الاحتلال الفرنسي. ولقد كوَّن ذلك الكتاب أيضاً مدرسة تاريخية نسج على منوالها كل من كتب من بعد في نفس الموضوع.

وفي سنة 1941 نشر كتاب "المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا" أحيا به تاريخ جزيرة صقلية في العهد الإسلامي، منذ الفتح إلى الانهيار، أي خلال ثلاثة قرون ونيف. وقد شمل تاريخ الولاة والملوك والوقائع الحربية، وتاريخ الأدب والفن والتفاعل الحضاري الذي انبثقت أنواره في ربوع إيطاليا وأوروبا من جراء ذلك.[8]

وعن الجانب الجغرافي نشر كتاب "جغرافية القطر الجزائري" الذي لا يزال إلى يومنا هذا هو الكتاب الجغرافي الجامع الوحيد عن بلاد الجزائر وقد أعيد طبعه مراراً. كما ألَّف ونشر في مدينة القاهرة سنة 1957 كتابه "هذه هي الجزائر" للتعريف بالجزائر وبثورتها وبتاريخها وأهدافها.

وأتم تأليف كتابه الكبير "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، الذي يتحدث فيه عن نشأة وازدهار الدولة الجزائرية أيام العثمانيين، وجهادها العنيف الذي دام ثلاثة قرون، ضد محاولات الغزو الصليبي الإسباني البابوي ، إلى أن تتوج الجهاد بالنصر العظيم، وبيان دور الشعب، ودور الأدبي تلك المعارك الطاحنة التي يعرف الناس عنها شيئاً. وقد صدر ذلك الكتاب في تموز 1968.

بينما نشر سنة 1967 مذكرات نقيب أشراف الجزائر عن الفترة الأخيرة من دولة الجزائر العثمانية مع عدد كبير من التعليقات.كما نشر الجزء الأول من حياة كفاح سنة 1975. وهو مذكراته من عهد الصبى إلى سنة

1925. أما الجزء الثاني من حياة كفاح سنة 1977. وهو مذكراته من 1925 إلى سنة 1954. كما نشر سنة 1982 الجزء الثالث من مذكراته الذي يروي مسيرته من سنة 1954 إلى استقلال الجزائر سنة 1962.

العوامل المساعدة على كتابة التاريخية لأحمد توفيق المدني:

ساعدت جملة من العوامل أحمد توفيق المدني في كتابة التاريخ الجزائر الوطني القومي الحضاري، وإن كانت الظروف صعبة خلال فترة الاحتلال عكس الفترة الاستقلالية.منها:

* تكوينه العلمي التي اكتسبها منذ صغره وفي الجمعية الخلدونية التونسي ،حيث تلقى التعليم الثانوي بالمعهد الخلدوني على يد العلامة المؤرخ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب*، عضو مجمع اللغة العربية، والتعليم العالي بجامع الزيتونة بتونس[9] ، حيث اشتهرت الخلدونية بالمسامرات الفكرية منذ تأسيسها 1868. والتي كان يقوم بها رجال الفكر التونسي امثال محمد الطاهر بن عاشور وغيره .

* الاضطلاع المبكر على الجرائد والصحف التونسية وهو دون سن المراهقة، ففي الخامسة من عمره بدأ حفظ القرآن في الكتاتيب التونسية، حتى إذا بلغ من عمره سن التاسعة أصبح الفتى أحمد يقرأ الجرائد، ويتبع أمور وأحداث السياسة التي بدأت تتخمر في ذهنه بفعل تتبع وتطلع العائلة وأخواله على القضايا السياسية السائدة في البلاد، حيث اضطلع على مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني، والمؤيد واللواء .[10]

* ولعه بالكتابة السياسية والقومية منذ نعومة أظافره ، فمن خلال الاضطلاع على الملف الأمني الخاص بتوفيق المدني نجد كتاب ومحاولات في الشعر القومي ومقالات نثرية منها مقالات الحياة والموت و مقالات نثرية حول الصراع الدائر خلال الحرب العالمية بين المانيا وفرنسا وروسيا، وهذه القدرة الكتابية اتسعت أكثر عندما احتك برجال الإعلام التونسيين ومنهم محمد حسين الجزيري.[11] فقد انضم سنة 1920 لهيئة تحرير مجلة "الفجر" التي كانت وقاء للحزب الدستوري الناشيء، ثم أصبح رئيسا لتحرير المجلة، وانتخب لعضوية اللجنة التنفيذية الأولى للحزب الدستوري بزعامة العلامة المرحوم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وأصبح سكرتير القلم العربي للحزب، والمشرف على الأعمال الداخلية فيه.

وأسند إليه الحزب مهمة تحرير فصول السياسة الخارجية في كل الصحف الدستورية الأسبوعية، وكان الحزب يصدر واحدة منها كل يوم، فكان يمضي أحمد توفيق مقالاته باسم "المنصور" ، فكان الكثير منها ينقل في مختلق صحف العالم العربي والعالم الإسلامي، منها :أندونيسيا والهند.[12]

* تجربته في الحياة من خلال نشاطه المبكر في النضال السياسي والقومي في تونس الذي كان نتيجته السجن والذي كان بمثابة معلم له ، باعتبار أن السجن كان مدرسة لأحمد توفيق المدني وتجربة سياسية وفكرية، أضفت وزنا سياسيا على حياته المستقبلية التي لا يحيط بها أدنى شك أو ظن، هذا السجن الذي جعل منه شاعرا، فيلسوفا، ناثرا وأديبا، فكتب توفيق المدني في جانفي 1918م داخل الغرفة رقم 12 قائلا:» فإذا كنت قد دخلته واكتفيت بالأرض فراشا وبالعراء لباسا وقنعت بالجوع طعاما وبالوحشة أسبابا وتوالت عليك

الأيام ومرت الشهور وانقضت الأعوام وأنت على تلك ثم خرجت من جديد إلى عالم الحياة.»[12] **ويقول أيضا:**"وبفتح العالم صحايف أسراره وتسقط أمامك حجب اللانهاية فتبصر الخيال مجسما، وترى المعنويات محسوسة وتتحول أيها السجن السامي الدري أيها المكان العلي أمنحك... فأنت أستاذي في الدنيا وأنت مكوني فيها، إنني سأغادرك أيها الأستاذ وكيف أصطبر على فراقك وكيف أستطيع ؟ لكن قضى الله بأن نفترق بعد أن صفا بيننا العيش ثلاثة أعوام مستتمة فسيرى الذين ظلموا أنهم إذا دخلوا السجن ... يستعدوا لخوض الحياة السياسية فقد أخرجوا بعد أعوام ثلاثة رجلا يستعد للجهاد في سبيل الحرية لقومه والاستقلال لبلاده«. (52) -5عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، 1914، أخذ ينشر مقالات في صحيفة الفاروق بالجزائر، ينتقد فيها سياسة الاستعمار في محاولة تحطيم الأخلاق الإسلامية والقضاء على اللغة العربية. وانضم إلى جماعة من الشبان كانوا يعملون على مشاغبة الاستعمار الفرنسي، فألقت السلطة الفرنسية عليه القبض في فبراير 1915 وسنه لا يتعدى15 سنة ، وأودعته السجن الانفرادي طيلة أربعة أعوام، إلى غاية سنة 1918. لقد اعتكف أحمد توفيق في سجنه على دراسة كتب اللغة والأدب، والتاريخ، وعلوم الدين، وتعمق في دراسة اللغة الفرنسية، والعلوم الحديثة. حيث كان والده يزوده بالكتب التي يطلبها[13].

* توافق نشاطه مع الحركة الاصلاحية الجزائرية بعد نفيه للجزائر عام 1925 . حيث أنه خلال سنة 1929، وضع القانون الأساس ومنهاج العمل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وباشر مع بعض رجال نادي الترقي عمليات التمهيد لجمع علماء الجزائر كافة في اجتماع عام انعقد في نادي الترقي وبرزن منه الجمعية التي أسندت رئاستها للعلامة المرحوم ابن باديس ونيابة رئاستها للعلامة المرحوم الإبراهيمي، وكانت هذه الجمعية انقلابا مصيريا في حياة الجزائر.[14]

* **غياب كتابا أو ندرة** مؤلفات عربية في الجزائر والعالم العربي عامة ، تتحدث عن الجزائر ، والتي صادفت احتلال [15] الذكر المئوية لاحتلال الجزائر، ومنها تحركت الضمائر الجزائرية في أوساط النخبة الفكرية والإصلاحية في الجزائر لمناهضة الاستعمار ومحاربته، والتأكيد عن الوطنية الجزائرية التي تستمد تاريخها منذ قرون بعيدة ليست لها علاقة بفرنسا الاستعمارية. ففي كتابه تاريخ الجزائر يذكر أحمد توفيق المدني:"أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيئ. يجهلون تاريخه. يجهلون طبيعته. يجهلون نظمه وقوانينه. يجهلون عناصر سكانه. يجهون حالته الأدبية وقوته الاقتصادية. فكأنهم يعيشون في ديار غير ديارهم.وأرض لم تنبت أجدادهم وابناءهم ،أو كأنهم خلقوا على أرض مبتورة الأصل..."

3- المنهجية المتبعة في الكتابة التاريخية من خلال كتاب الجزائر:

بمناسبة احتفال فرنسا بمرور مئة عام على احتلالها الجزائر، ألف أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر"عام 1932، الذي عَرَضَ لأوَّل مرة تاريخ الجزائر وواقعها حسب وجهة النظر الجزائرية الإسلامية العربية، وشرح حال الشعب الجزائري وسياسة الاستعباد الفرنسي في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع توجيهات صريحة. هذا الكتاب الذي استبشر به البعض ومنهم محمد العيد خليفة شعرا يثني فيه على صاحبه مايلي:

كتاب لأبناء الجزائر مطلع على كل حق للجزائر غابر

فيا "أحمد" فضل ربك واغتبط بذكر على القطرين زاه وزاهر

إذا كنت "توفيقا فكم لك نعمة وفضل بتوفيق من الله طاهر

وسفرك عن حال الجزائر مسفر فلا غرو أن يدعى "كتاب الجزائر"[16]

وقال فيه الشاعر الثائر مفدي زكريا قصيدة فخرية ، نذكر بعض أبياتها:

اقرأ كتابك للأجيال يا مدني كفى بصداحك على فنن[17]

معلوم أن كتاب الجزائر يحتوي على 408 صفحة، مقسم بشكل منهجي إلى مقدمة بسيطة وأربعة عشر فصلا (قسما)، وهذه الأقسام بدورها تتفرع إلى مباحث ، إضافة إلى خاتمة ، ألحقت بفرس عام للمواضيع (فهرس عمومي للكتاب) وفي الأخير فهرس للأخطاء. وعموما نلاحظ خللا في المنهجية المتبعة، وهي أن تكون التصويبات قبل الفهرس العام للكتاب، والشيء المستخلص من فهرس التصويبات هو الأمانة العلمية في تقديم واستسقاء معلومات للكاتب.

فالكتاب يفتقر إلى إحالات التي استقى منها معارفه ومعلوماته، وبذلك تنعدم الهوامش والببليوغرافيا التي تبين الأمانة العلمية للكاتب، وهو خال من ترجمة الأعلام والمصطلحات وتحديدها والتعريف بها.وعدم معرفته للمنهجية العلمية التي لم تكن تعتمد هذه الأسس لا في جامع الزيتونة ولا في الجمعية الخلدونية. واعتمد على ذكر الأحداث الغابرة على بعض المراجع والمصادر منها مؤلفات ابن خلدون ، أما خلال الفترة المعاصر فكان يعتمد على أقوال وسياسة الحكام الفرنسيين دون اسنادها لمصدرها الحقيقي ودون وضع الاقتباس بين علامات تنصيص كما هو معمول به في المنهج العلمي.

اللغة كانت بأسلوب انشائي بسيط تساعد القارئ على الفهم ، وقد لاحظنا الكاتب يسمي بعض المسميات بلهجته العامية مثل الشاحنة التي كان يطلق عليها تسمية كاميون. ومثال المتصرف الإداري (لادمنسراتور) في الصفحة 324. كما كان من حين لآخر يذكر بعض المصطلحات العربية باللغة الفرنسية مثل: les cerfs، conseil de guère، amande collective، le séquestre .

إن عاطفة الكتاب تظهر في الكتابة التاريخية ، وهي منحازة للقضية الوطنية، تبين حقدها على الاستعمار الفرنسي، كيف لا وهو الذي سجن من طرف الاستعمار لمدة أربع سنوات وسنه لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره.

يمكن اعتبار كتابة أحمد توفيق المدني بالأنا دائما في كتاباته التاريخية التي عاصرها باعتباره صانع للأحداث وصاحب الأفكار السديدة، مما يجعل بعض كتاباته توضع أحيانا بين قوسين من طرف القارئ.

فرغم أنه كتاباته كانت سردية في الغالب، نظرا لحجم الموضوع المدروس، فكان يشير ببعض الملاحظات، وإعطائه حلولا شخصية كما هو الشان في النهوض بالتعليم الجزائري بقوله" أقول هذا لنه رأيي وان كنت اعتقد ان لن ينقذ بحال من الأحوال".[18]

الخلاصة:

-يعتبر أحمد توفيق المدني واحد من الوطنيين السباقين، الذين أسسوا للكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة خلال فترة الاحتلال الاستعماري للجزائر، التي تجلت من خلال الكثير من المؤلفات باللغة العربية خلال الفترة الاستعمارية.

- إن الكتابة التاريخية عند توفيق المدني لم تكن تحمل أبعادا قومية جزائرية ، بل كانت تحمل مشروعا عربيا ذو طابع إسلامي، يحمل أبعادا تاريخية للأمة الجزائرية، لا تخلوا من البعدين المغاربي والشمال إفريقي.

- يمكن تمييز فترتين واضحتين في الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني ، فالأولى هي الفترة التونسية، حيث كان كتاباته في الصحف التونسية ومؤلفاته الشخصية بعيدة عن القضية الجزائرية، لكن بعد نفيه إلى الجزائر 1925م تحددت له معالم الحياة، لذلك وجه اهتماماته الفكرية والسياسية للجزائر.

- إن الكتابة التاريخية لأحمد توفيق المدني تمثل نية صادقة ، بأن يجاهر بمحاربة الكيان الفرنسي في الجزائر، باعتبار أن الجزائر ليست هي فرنسا، فالواقع والسياسة الفرنسية ، التي تتجلى خصائصها في الميز العنصري، واستلاب الخيرات، والتفريق في حقوق المواطنة المزعومة هي دلائل اختلاف بين شعبين الأول يضرب أعماقه في العروبة والأمازيغية الإسلامية والثاني افرنجي مسيحي.

-إن كتابة أحمد توفيق المدني ومن عاصره في تلك الفترة هي بدايات للتأريخ الجزائري، أو ما يعرف ببواكير الكتابة التاريخية القومية، والتي أسست لما يطلق عليه تسمية المدرسة التاريخية الجزائرية، رغم خصوصياتها المنهجية التي يمكن تجاوزها باعتبار أن أحمد توفيق المدني ينتمي للنخبة المثقفة ، التي لم تتخرج من جامعات علمية أكاديمية.

- إن الكتابات التاريخية توفيق المدني خلال فترة الاستعمارية هي كتابات للتعريف بالأمة الجزائرية ومنها كتاب الجزائر، الذي أعتبر مرجعا تاريخيا للعرب عامة والجزائريين خاصة ، تكمن قيمته التاريخية في اعطاء الحقائق التاريخية للجزائر في العهود القديمة والجزائر المستعمرة. وهو عمل تحدي للسلطة الفرنسية خلال مطلع الثلث الأول من القرن العشرين.

- لم يتوقف أحمد المدني عن الكتابات التاريخية بل ضل يكتب طيلة حياته [19]، خاصة وأن الظروف كانت مواتية إليه حينما عُيِّن وزيرا للأوقاف في الحكومتين الأولى والثانية، وأنشأ خلال ذلك سبعة عشر معهدا عاليا للتعليم الإسلامي العربي بالبلاد الجزائرية، كان يدرس فيها نحو ستة آلاف طالب. وقد استجابت الجمهورية العربية المتحدة لندائه، فأمدته وزارة الأوقاف الجزائرية بتوجيه من السيد الرئيس جمال عبد الناصر، بمائة من جلة شيوخ الأزهر للمشاركة في ذلك التعليم الذي أسهم إسهاماً فعَّالاً في إحياء العروبة والإسلام في الجزائر.

- ساهم في نقل الوثائق الأرشيفية المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية لما كان يشغل وزيراً مفوَّضاً مكلفاً بقسم الوثائق العثمانية المتعلقة بتاريخ الجزائر. وقد أتى من خزائن استنبول بصور ما يزيد عن أربعة آلاف وثيقة تتمحور حول العلاقات الباب العالي وإيالة الجزائر.

وفي الأخير من الصعب في تلك المرحلة أن يكتب الجزائريون مثل تلك الكتابات الوطنية، ومنها كتاب الجزائر الذي بقي تراثا تاريخيا لجيل كان يئن تحت وطأة الاستعمار، لنتذكرهم اليوم قائلا ومرددا بيتا من قصيد مفدي زكرياء:

ليشهد السلف الآساد عن كثب ما جئت ترويه عن عزبهم قن

وليذكر الخلف المجاد غي غدهم ما كنت تتلوه بالأمس على غصن.

الببليوغرافيا:

1 -أحمد، توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات). في تونس 1905- 1925 .ج 1،(الجزائر: ، ش.و.ن.ت، 1973)، ص ص13-16.

[2] - نفسه ، ص20-22.

[3] - عمر، بن قفصة، أضواء على الصحافة التونسية، 1860 -1970.(ط 1، تونس : دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972)، ص 129.

[4] -المدني توفيق حياة كفاح ،المصدر السابق، ص 351.

[5] -نقسه، ص ص334-336 .

[6] http://www.elmadani.org/aالموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني.

[7] - الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني.

*حسن حسني عبد الوهاب: من مواليد 1884، زاول تعليمه الابتدائي بالمهدية، ثم المدرس الصادقية، ليكمل دراسته في معهد العلوم السياسية بباريس عام 1902، ودرس التاريخ في المدرسة الخلدونية، شارك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام 1908 . تقلد مناصب عديدة منها أمير لواء على المهدية، وعاملا بولاية نابل، رئيسا جمعية الأوقاف عام 1942، ووزيرا للقلم سنة 1945، من مؤلفاته: بساط العتيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، خلاصة تاريخ تونس، شهيرات تونسيات، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ملقى السبيل لآبي العلاء المعري، أعمال الأعلام لابن الخطيب، آداب المعلمين لابن سحتوت، رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني، التبصر بالتجار للجاحظ. وكتب العديد من المقالات حتى وفاته في 9 نوفمبر 1968. أنظر:الهادي جلاب، النخب الاقتصادية التونسية 1920-1956)-ظروف نشأتها وأوضاعها المادية. تونس: ص 197 ،198.

8-الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني.

[9] -أحمد، توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق ، ص ص20-22.

10 -نفسه، ص ص 334-336.

11 - الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني.

12-أحمد ،خالد ، أضواء من البيئة التونسية – الطاهر حداد ونضال جيل. (ط 3 ، تونس:، الدار التونسية للنشر 1985)، ص193.

13- الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني.

14 -المدني توفيق أحمد، كتاب الجزائر، د ط، المطبعة العصرية، دت، ص2.

15 -المدني توفيق ،نفسه، ص2.

16-محمد العيد بل خليفة ، كتاب الجزائر"، ج الارصاد، 19-02-1932،ع 7، ص 3.

17 -مفدي زكرياء، إقرأ كتابك، ج النور، ع28، 10-04-1932م.

18-المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص300.

19 -انتقل إلى رحمة ربه إن شاء الله يوم 18 أكتوبر 1983 إثر نوبة قلبية